

الوافي في الوفيات

وهذا أحسن من الأول وأخذ جمال الدين ابن نباتة فقال من البسيط :
وانظُرْ إلى الخالِ فَوَقَّ الثَّغْرَ دونَ لَمَى ... تجدُ بلالاً يراعي الصبح في السحر .
ومن شعر عفيف الدين التلمساني من قصيدة من الطويل :
كأنَّ الأفاحي والشفيقُ تقابلا ... خُدودُ جلاهنَّ الصيديِّ ومباسمُ .
كأنَّ بيهاً للنرجس الغَضِّ أَعْيُنًا ... تَنَدِيهَـمَ منها البَعْضُ والبَعْضُ نائمُ .
كأنَّ طلالَ القُصْبِ فوقَ غَدِيرِها ... إذا اضطربتْ تَحْتِ الرِّيحِ أراقِمُ .
كأنَّ عِناءَ الورقِ ألحانُ مَعْبَدٍ ... إذا رقصتْ تِلْكَ القُدودِ النواعِمُ .
كأنَّ نِثارَ الشمسِ تَحْتِ غُصونِها ... دنائيرُ في وقتِ داراهمُ .
كأنَّ بيهاً الغُدرانَ تَحْتِ جداولِ ... مُتونُ دُرُوعِ أُفْرغتْ وصوارمُ .
كأنَّ ثِمَاراً في غصونِ تَوَسَّوَسَتْ ... لعارضِ خفِّاقِ النسيمِ تائمُ .
كأنَّ القُطوفِ الدانياتِ مواهبُ ... ففي كلِّ غُصْنِ ماسَ في الدَوْحِ ماتَمُ .
قلت : شعر جيد إلى الغاية . وَقَدِّمْتُ ديوانه ورتبته على الحروف مقفى على
الرفع والنصب والجر والسكون .

زين الدين الحافظي الطيب .

سليمان بن عليّ زين الدين ابن المؤيد خطيب عقرباء الحافظي . قال ابن أبي أصيبعة :
اشتغل بالطبّ على الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن عليّ وحصلاً العلم والعمل وأتقن
الفصول والجمل وخدم بالطبّ الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه بن لأبي بكر بن أيوب
وكانَ يومئذ صاحب قلعة جعبر . وأقام في خدمته وتميّز عنده وأجزل رفته وخوله في
دولته واشتمل علىه . وكانَ زين الدين يعاني الأدب والشعر والكتابة الحسنة وكانَ
يعاني الجندیّة وداخل أولاد الملك الحافظ وصار حظيّاً مكيناً في دولتهم . ولمّا مات
الحافظ وتسلم الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي صاحب حلب قلعة جعبر بمراسلات كانَ
فيها زين الدين الحافظي وانتقل زين الدين إلى حلب وصارت له عند الملك الناصر يد
ومنزلة رفيعة . وتزوج زين الدين بابنه رئيس حلب واقتنى أموالاً كثيرةً . ولما ملك
الناصر دمشق وصل معه إلى دمشق وصار مكيناً في دولته ولذلك قلت فيه من الطويل :
ولا زال زين الدين في كلِّ منصبٍ ... له في سماء المجد أعلى المراتب .
أميرٌ حوَى في العلمِ كُلاًّ فَضيلةٍ ... وفاق الوَرَى في رأيه والتجارب .
إذا كانَ في طبِّ فصَدْرُ مجالِسٍ ... وإن كانَ في حربٍ فقلابُ الكتائب .

ففي السلم كم أحيى ولياً بطيبه ... وفي الحرب كم أفتى بالقساوي .
ولم يزل عند الناصر بدمشق إلى أن جاءت رسل التتار يطلبون البلاد ويشترطون علايه
يحملة من المال إليهم . فبعث الناصر زين الدين رسولا إلى هولاء فأحسن إليه واستماله
فصار من جهته ومازج التتار وتردد في المراسلات مرات وأطمع التتار في البلاد وهو
علاي الناصر أمرهم وعظّم شأنهم ووصف عساكرهم وصغّر شأن الناصر ومن عنده من العساكر
حتّى أوقفه عن الحرب .

فلمّا جاءت التتار إلى حلب ونازلها هولاء قريبا من شهر هرب الناصر من دمشق إلى مصر
وخرجت عساكر مصر وملكها قطر . فانكسر الناصر وملك التتار دمشق وصار زين الدين بأمر
برها وينهي وبقي معه جماعة حتّى كانوا يدعونه الملك زين الدين . ولمّا كسر التتار
علاي عين جالوت وانهزم ملك التتار ومن معه من دمشق توجه زين الدين الحافظي معهم
خوفاً علاي نفسه من المسلمين قال الرشيد الفارقي : كنت أقابل معه صحاح الجوهر فلما
أمّروه قلت وأنشدته من الخفيف :

قبل لي الحافظي قدّ أمّروه ... قُلتُ ما زال بالعلاء جديرا .
وسليمان من خصائصه المُل ... كُ فلا غزوّ أن يكون أميرا